الذين كانوا في عهد محمد صلى الله عليه وسلم في تصديقه انه رسول الله فقال بعضهم انه حق كعبد الله بن سلام
واصحابه وقال بعضهم انه ليس بحق وغيروا نعوته بغيا وحسدا الا من بعد ما علموا صدقه بنعوته ونظائر
معجزاته **ان ربك** يا محمد **يقضي** بما يرفع النزاع **بينهم يوم القيمة** باثابة البعض ومعاقبة
البعض يعني بانجاء المومنين وتعذيب الكافرين **فيما كانوا فيه يختلفون** من امرك وامر نبوتك
لتخيصه فيدخل من امن بك الجنة ومن كفر بك وجحد نبوتك وكتم نعوتك النار قوله تعالى **فان كنت
في شك مما انزلنا اليك** هذا كلام على سبيل الفرض والتقدير يعني فان كنت يا محمد في شك
من حقيقة ما اخبرناك به من القصص على سبيل الفرض والتقدير وفي الدر المنثور قال ابن عباس اذا احسست
ووجدت شيئا من الشك فقل هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم وفي اللباب معناه
مما انزلنا اليك من القران قال الشيخ وان كنت يا محمد في شك ما يسير على الفرض والتقدير من القصص التي
من جملتها قصة فرعون وقومه واخبار بني اسرائيل فاسال الخ وانما قلنا على الفرض والتقدير فان مضمون
القضية الشرطية انما هو تعليق شيء بشيء من غير تعرض لامكان شيء منهما كيف لا وقد يكون كلاهما ممتنعا
كقول القايل ان كانت الخمسة زوجا تكون منقسمة الى المتساويين وكقوله تعالى قل ان كان للرحمن ولد فانا
اول العابدين وكقوله لئن اشركت ليحبطن عملك ونظايرهما **فاسئل الذين يقرؤون الكتاب**
التورية **من قبلك** يعني علماء اهل الكتاب فانه ثابت عندهم يخبرونك بصدق ما انزلنا اليك
ويخبرونك ايضا انك مكتوب عندهم في التورية والانجيل وانك نبي يعرفونك بصفتك عندهم قال
صلى الله عليه وسلم لا اشك ولا ارتاب تلخيص الكلام ان الذي انزلنا اليك محقق عند اهل الكتاب ثابت
في كتبهم حسبما القيناه اليك والاستشهاد اظهار ذلك بما في الكتب المتقدمة وان القران مصدقا لما فيها
لا وصف الرسول عليه السلام بالشك نزلت الاية حين قالت كفار قريش ان هذا الوحي يلقي اليه الشيطان
او تهييج الرسول وزيادة تثبيته على ما هو عليه من اليقين والبعث على طلب المزيد فيه كما تقول لمن تجتهد
في مزاولة امر انت تريد مزيد نعته عليه اراك توانيت عن هذا وقد حدث عليه تريد تهييجه و
تحريكه لا امكان وقوع الشك له ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا اشك ولا اسال قال لقد علم الله
ان رسوله غير شاك لكنه ذكر ذلك على عادة العرب بقول الواحد لعبده ان كنت عبدي فاطعني
ويقول لولده افعل كذا ان كنت ولدي ولا يكون ذلك شكا او المراد وصف الاحبار بالرسوخ في العلم
بصحة ما انزل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وصف رسول الله بالشك فيما انزل واحسن الاجوبة عندي
ما قاله القاضي عياض في كتابه الشفا احذر ثبت الله قلبك ان يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين
عن ابن عباس وغيره من اثبات شك للنبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه وانه من البشر فمثل هذا لا يجوز
عليه صلى الله عليه وسلم جملة بل قد قال ابن عباس لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسال ونحوه عن سعيد بن جبير
والحسن البصري وحكي عن قتادة انه قال بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اشك ولا اسال وعامة المفسرين
على هذا تم كلام القاضي عياض رحمه الله قلت وان كان في الظاهر الخطاب مع النبي لكن المراد به غيره
كما في قوله لئن اشركت ومعلوم من الدين بالضرورة ما خطر بباله شك فضلا فكيف الشرك فثبت ان المراد
بالخطاب غيره ومن امثلة العرب اياك اعني واسمعي يا جارة فالمعنى على هذا قل يا محمد يا ايها الانسان الشاك

ان كنت

ان كنت في شك مما انزلنا اليك على لسان رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فاسئل الذين يقرؤون الكتاب يخبروك
بصحته والدليل على ما قلنا قوله تعالى في اخر هذه السورة قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني الاية
وقال الزجاج ان الله خاطب الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله فان كنت في شك وهو شامل للخلق فهو كقوله
يا ايها النبي اذا طلقتم النساء وبعضهم احسن كلام الزجاج ولكن لا يخلو عن سول فالاولى هو الذي
مر من قبل من كلام العياض ومن نحا نحوه وقيل ان لفظة ان في قوله فان كنت للنفي لا للشك ومعناه
وما انت في شك مما انزلنا حتى تسال فلا تسال ولئن سالت لازددت يقينا وكقوله ان الكافرون
الا في غرور ولا يلزم ان يكون بعد ان النافية الا كقوله تعالى ان امسكهما من احد من بعده فان نافية وليس
بعدها الا فان قيل اذا كان الخطاب للناس فلم وحد الله الضمير في قوله فان كنت قلت مراده عز وجل
الجميع لانه خطاب لجنس الانسان كما في قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم لم يرد في الاية انسانا
بعينه قوله تعالى **لقد جاءك الحق من ربك** هذا كلام منقطع عما قبله وفيه معنى القسم
تقديره اقسم لقد جاءك الحق اليقين من الخبر بانك رسول الله حقا وان اهل الكتاب يعلمون صحة ذلك
والمعنى جاءك الحق وهو القران الذي انزلت اليك لا ريب في حقيته وظهر ذلك بالايات القاطعة التي لا يحوم
حولها شايبة الارتياب **فلا تكونن من الممترين** اي من الشاكين في صحة ما انزلنا اليك يعني لا مدخل
للمرية فيه بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين **ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله**
اي بدلايله وبراهينه الواضحة وكلا النهيين من باب تهييج الله نبيه بالثبات على ما عليه من اليقين
والمعنى دم واثبت على ما انت عليه من انتفاء المرية والتكذيب بايات الله **فتكون من الخاسرين** اي
الذين خسروا انفسهم واعلم ان هذا كله على ما تقدم من ان ظاهره خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد
به غيره ممن له شك وارتياب فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك ولم يرتب ولم يكذب بايات الله البتة
فثبت بذلك ان المراد غيره والله اعلم قال البيضاوي وهذا ايضا من باب التهييج والتثبيت وقطع الاطماع
عنه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ثم لما فصل الله تعالى هذا التفصيل بين ان له عبادا قضى عليهم بالشقاء
فلا يتغير وعبادا قضى لهم بالكرامة فلا يتغير فقال **ان الذين حقت** اي وجبت وثبتت **عليهم كلمة
ربك** اي حكم ربك وقضاؤه بانهم يموتون على الكفر او يخلدون في النار كقوله تعالى ولكن حق القول
مني لاملان جهنم الاية او كما في الحديث خلقت هولاء للنار ولا ابالي وقيل معنى كلمة ربك اي سخطه ولعنته
وقيل هو ما قدره عليهم وقضاه في الازل انهم **لا يومنون** ابدا اذ لا كذب لكلامه ولا انتقاض لقضايه
واعلم ان قضاء الله عند الاشاعرة هو ارادته الازلية المتعلقة بالاشياء على ما هي عليه فيما لا يزال وقدره
ايجاده تعالى اياها على قدر مخصوص وتقدير معين في ذواتها واحوالها وهذه الاية استدل بها اهل
على اثبات القضاء والقدر ولا وقف على قوله لا يومنون لان قوله **ولو جاءتهم كل اية**
يتعلق بما قبلها والمعنى ولو جاءتهم كل علامة دالة على التوحيد فانهم لا يومنون بها لان السبب الذي
لا يومنون وهو تعلق ارادة الله به مفقود **حتى يروا العذاب الاليم** فحينئذ لا ينفعهم الايمان لان الله تعالى
قد حكم عليهم وصرفهم عن الايمان فلا ينفعهم شيء قال البيضاوي وحينئذ لا ينفعهم كما لا ينفع فرعون
قلت وذلك عند الباس وقبله لا من فلا يقبل منهم قوله تعالى **فلولا كانت** هذا كلام مستانف لتقرير ما سبق

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)